مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:25 عدد:62 السنة: 2021

التصنيف العقديّ والمنهجيّ "غير المُنضبط" وأثر ذلك على العلائق الاجتماعية، الأسباب وطرق العلاج
– دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية –

Nodal and systematic classification "uncontrolled" and its effect on social relationships, causes and treatment methods.
An objective study in the light of the Prophet's Sunnah.

عادل كرميش[1]
طالب دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.
kermicheadel@gmail.com
أ.د حسان موهوبي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
h-medea@hotmail.com

تاريخ الوصول 2020/11/12 القبول 2021/04/19 النشر على الخط 2021/12/15
Received 12/11/2020 Accepted 19/04/2021 Published online 15/12/2021

ملخص:

يأتي هذا المقال في ظل وضعٍ حضاريٍّ محرج تعيشه أمتنا يستلزم منّا ممارسة عملية النقد الداخلي الإيجابي البناء،من خلال تسليط الضوء على الظواهر السلبية التي تضر بالمعادلة الاجتماعية النبوية ،وتهدد العلائق والروابط فيها، من خلال البحث عن السبل الناجعة والفعالة للمعالجة، وإنّ من أخطر الظواهر المهددة لاستقرار المجتمع في واقعنا اليوم: **التصنيف والعقدي والمنهجي . غير المنضبط**، والتي متى اجتنبت كانت بمثابة عامل من عوامل استمرارية الأمة ومتانة العلائق فيها،وعليه جاء المقال بعنوان : **التصنيف العقديّ والمنهجي "غير المنضبط" وأثر ذلك على العلائق الاجتماعية ، الأسباب وطرق العلاج .. دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية** .. وقد ضمنته مقدمةً وعرضاً وخاتمة ،وقد تحدثت فيه عن أنواع التصنيف ومشروعيته و أهم أسبابه وأثاره ثم أَبَنْتُ طرق علاج هاته الظاهرة القديمة المتجددة فظهرت شمولية السنة وقدرتها على التحليل ومواجهة الظواهر السلبية المجتمعية.

الكلمات المفتاحية: :العلائق الاجتماعية . التبديع . التصنيف . العقيدة . المنهج.

Abstract:

This article comes in light of an embarrassing civilized situation in our nation that requires us to practice a positive and constructive internal criticism process, by shedding light on the negative phenomena that harm the prophetic social equation and threaten the relationships and ties in it, by searching for effective and effective ways to treat, and it is one of the most dangerous phenomena. Threatening the stability of society in our reality today: classification, doctrinal and systematic - uncontrolled, which, when avoided, was a factor in the continuity of the nation and the strength of the relationships within it. Accordingly, the article came under the title: "Uncontrolled Nodal and Systematic Classification and its Impact on Social Relationships, Reasons and Methods of Treatment. An objective study in the light of the Prophet's Sunnah. I included it as an introduction, presentation and conclusion, in which I talked about the types of classification, its legitimacy, its most important causes and effects, and then I built methods of treating this ancient and renewed phenomenon, thus the inclusiveness of the Sunnah and its ability to analyze and confront negative societal phenomena appeared.Key words: social relations, innovation, classification, belief, method

Keywords: Social relations, innovation, classification, belief, method.

[1] المؤلّف المراسل: **عادل كرميش** البريد الإلكتروني: kermicheadel@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

من الحقائق الواقعية المحزنة: تلك التفرقة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم، والتي فقدت معها المجتمعات المسلمة فعاليتها وتأثيرها ودورها في الحياة المعاصرة، فغدت مفعولا به بعد أن كانت فاعلا. ولقد تعددت أسبابها وتنوعت مشاربها. ولعل من بين أهمّ الظواهر السلبية العابثة بالروابط الاجتماعية ووحدتها الإسلامية، ظاهرة: التصنيف العقدي والمنهجي "غير المنضبط". فلقد تعاظم أمر هذه الظاهرة الدخيلة، واتسعت رقعتها، وكثرَ سدَنتُها، وضحاياها وانعقدت لها مجالس وصنفت لأجلها كتب وروايات، واختلطت معها المفاهيم، ونُسجت لها المصطلحات، فكان حتما ولزاما معالجة هذه الظاهرة الخطيرة والبحث في أسبابها ومسبباتها، ومدى تأثيرها على العلائق الاجتماعية، والوقوف على حقيقة كل ذلك للوصول إلى طرق علاجها.

إنّ إشكالية: التصنيف العقديّ والمنهجيّ "غير المنضبط" وأثر ذلك على العلائق الاجتماعية...، والتساؤلات المنوطة بها هي هدف هذا المقال الذي يروم البحث التقصي العلمي من أجل الوصول إلى إجابة موضوعية عن مدى أثر التصنيف العقدي والمنهجي" غير المنضبط" على العلائق الاجتماعية ؟ و المعْنَى بالتصنيف ؟ وموقف الشرع منه ؟ وأهم أسباب فشوه ؟ وهل قد دلت السنة النبوية على طرق علاج الظاهرة ؟ كل ذلك وفق المعالم البحثية الآتية:

حدود البحث:

تتجلى حدود هذا البحث في ضبط المصطلحات: **التصنيف** / **العقدي** / **والمنهجي**..

فالتصنيف :: يأتي ويراد به عدة معاني من حيث اللغة العربية منها: الطائفة، التمييز، النوع، الزوج من الأشياء، يقول ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ "صَنَفَ الصَّادُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ فِي مَعْنَيَيْنِ، أَحَدُهُمَا الطَّائِفَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ تَمْيِيزُ الْأَشْيَاءِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ...ويقال: صِنْفٌ مِنَ الْأَصْنَافِ أَيْ نَوْعٌ."[1] قال الزبيدي :"الصِّنْف:الزَّوْجوالذَّكَرُ صِنْف، والأُنثى صِنْف"[2]

ومن حيث الاصطلاح العلمي: فنقصد به إطلاق الألقاب وإرسالها على أفرادِ الناس وجماعاتهم – على وجه الذمّ والمنابذة – تحديدا بقصد التمييز والتقسيم من حيث: المذهب والعقيدة، والمنهج، والسلوك، ونحو ذلك من الإطلاقات مما يراد بها تصنيف الناس.

أمّا "العقدي": فنسبةً إلى العقيدة المرادفة لمعنى الإيمان.

وأمّا "والمنهجي": فنسبةً للمنهج وهو السبيل والطريق، فهو أعم من العقيدة بحيث يشملُ كل ما كان متعلقا بالعقيد، و السلوك، والأخلاق، والمعاملات. وبمعني الخطة النبوية التي سار عليها رسول البرية محمد ﷺ والتي ينبغي أن يسير عليها الناس اليوم بخصوص موضوعنا الذي نحن بصدده .

1 – التصنيف ظاهرة قرآنية نبوية:

_إنّ المتتبع لنصوص الكتاب والسنة يقف على نوعين من التصنيف :

أ– تصنيف منضبط، وقد وظفته الشريعة الإسلامية واعتبرته.

[1] – معجم مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس تح : عبد السلام محمد هارون ،د: دار الفكر ،ط: 1399هـ – 1979م.ج 3ص313 بتصرف

[2] – تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي ،تح: مجموعة من المحققين ،د: دار الهداية ج6ص24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب– تصنيف غير منضبط، وقد نهت عنه الشريعة الإسلامية ونبذته.

أما الأول وهو: التصنيف المنضبط والمعتبر: فنَلْفِتُ عناية الناظر إلى مشروعية "التصنيف بحق" وأنه من قبيل تسمية الأشياء بمسمياتها، لما فيه من تمييزٍ للحق من الباطل، وعليه يقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد جاء من الحديث النبويّ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" سَيَكُونُ فِيأُمَّتِي دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ بِبِدَعٍ مِنَ الْحَدِيثِ، بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يَفْتِنُونَكُمْ"[1]. والشاهد هو قوله ﷺ:"سَيَكُونُ فِيأُمَّتِي دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ"، فالوصف بالدجل والكذب تَصْنِيفٌ لأولائك، وكذا في قوله ﷺ:"فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يَفْتِنُونَكُمْ" إشارة إلى تحذيرٍ من الموافقة والملاصقة وهو بمثابة : نهي عن منكر بعد تصنيفٍ[2].

والمتأمل سوف يجد أنّ التصنيف المنضبط مُعتبر وضروريٌّ بنص القرآن الكريم و توجيهات السنة النبوية و الصحابة و فتاوى العلماء:

أ . فمن الكتاب: قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾**سورة التغابن الآية 2**وقوله :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾سورة المنافقون الآية 1وقوله:﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾سورة القلم الآية 35

فهذه الآيات تَدلُ على مشروعية التصنيف حيث صنف القرآن الناس بحسب عقائدهم وإيمانهم بالخالق عزّ وجلّ، واصفا أعيانهم وأجناسهم ب: الكافر، والمنافق، والمجرم...، وفي آيات أُخَرْ ب: البرّ، والفاجر.... وقول المفسّر الإمام ابن رَحِمَهُ اللهُ:" هُوَ الْخَالِقُ لَكُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَرَادَ مِنْكُمْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ"[3]. فكان التصنيف واقعا قولا وفعلا .

ب : ومن السنة: فهي تبع لكتاب الله تعالى في إقرارها بالتصنيف، ومشروعيته. فما من صنفٍ في كتاب الله إلا وله نظير في السنة النبوية و زيادة، ومنه وصف الصحابة ب: مهاجرين وأنصار، ذلك لما ورد عن جابر بن عبد الله عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه أَرَادَ الْغَزْوَ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ، وَلَا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ، أَوِ الثَّلَاثَةَ، فَمَا لِأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرِ جَمَلِهِ إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ، قَالَ: فَضَمَمْتُ اثْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةً إِلَيَّ، وَمَا لِي إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي."[4].

وفي مقابل ذلك صنّف النبي ﷺ قسما آخر من المسلمين بما سيكونون عليه ..كما جاء عن أبي سعيد الخدري وأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:"سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ

---

[1]– أورده عن أبي هريرة مسلم في مقدمة صحيحه ص 7 و أحمد في مسنده 8596 واللفظ له

[2]– ويشهد لهذا المعنى الحديث الذي رواه عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِم خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ والمعنى أن النبي ﷺ ذكر مراتب النهي عن المنكر الثلاث ذكر صنف من الناس يخلفون الحواريين .

[3]– تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن كثير .ت: سامي بن محمدسلامة.د: دار طيبة للنشر والتوزيع.ط: الثانية 1420هـ - 1999 م ج 8ص135

[4]– سنن أبي داود | كِتَابُ الْجِهَادِ | بَابٌ : الرَّجُلُ يَتَحَمَّلُ بِمَالِ غَيْرِهِ يَغْزُو برقم 2534 واللفظ له وأحمد برقم 14863

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ،طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيمَاهُمْ ؟ قَالَ: " التَّحْلِيقُ."[1]

وهؤلاء قد سُمُّوا على لسان الصحابة بـ: الخوارج. فإطلاق الصحابة- من غير وجود منازع لهم- للفظة الخوارج على هذا الصنف المعَيّنِ من الناس إطلاق من التصنيف المشروع.

ومنه قوله ﷺ:"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ، فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ"[2] . فلقد نعتهم النبي ﷺ ب: (دجّالون)، وهذا تصنيف واضح.

ثم من قوله ﷺ مما ورد عَنِ عبد الله بنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ".[3] فالنبي ﷺ قد قسّم مُرْجِئَةٍ وَقَدَرِيَّةٍ صنفان وهذا تصنيف .

كما، وقد قامت من جهة الصحابة عملية على شكل النعت بما يتضمن التصنيف أيضا. فعن مُعَاذَة أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ: أَتَجْزِي إِحْدَانَا صَلَاتَهَا إِذَا طَهُرَتْ ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ ؟ كُنَّا نَحِيضُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺفَلَا يَأْمُرُنَا بِهِ، أَوْ قَالَتْ فَلَا نَفْعَلُهُ." [4] فقولها (أحرورية أنت)تصنيف بحق.

ومن ذلك النوع أيضا ما جاء عن ابن عباسرضي الله عنهفي تفسيره لقوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾سورة آل عمران الآية 106، قال" تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ."[5]و هذا نوع من التفسير -كما نرى- الغاية منه التصنيف أيضا وبيان المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل مفاصلةً عِلميةً وعَمليةً تتمايزُ من خلالها طرق الهدى والضلال و الحق والباطل،وفي هذا المعنى يأتي قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾سورة الأنعام الآية 5. قال السعدي:"فإن سبيل المجرمين إذا استبانت واتضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلافما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل."[6] .

ولا يمكن أن نستبين ذلك السبيل إلا باعتبار التصنيف القائم على ضوابطه من :

1- توفر الشروط في المصَنَّفْ والمصَنِّفْ

2- انتفاء الموانع

3- تحقق المناط

---

[1]- سنن أبي داود | أَوْلُ كِتَابِ السُّنَّةِ | بَابٌ : فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ برقم :4765 واللفظ لهوأحمد برقم 13338

[2]- صحيح البخاري كِتَابُ الْمَنَاقِبِ. بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ.برقم 3609

[3]- سنن الترمذي | أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | .بَابٌ : مَا جَاءَ فِي الْقَدَرِيَّةِ برقم 2149 واللفظ له، وابن ماجةبرقم 62

[4]- صحيح البخاري كِتَابٌ : الْحَيْضُ بَابٌ : لَا تَقْضِي الْحَائِضُ الصَّلَاةَ. رقم:71 321

[5]- الاعتصام إبراهيم اللخمي ،تح: سليم بن عيد الهلالي ،د: دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى، 1412هـ - 1992م ج 1ص37

[6]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .السعدي.ت : اللويحق.د: مؤسسةالرسالة.ط: الأولى 1420هـ -2000 م ص258 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلاّ عُدَّ التصنيف سلوكاً غير أخلاقيٍّ، ومجازفةً خطيرة عابثة بـ:شبكة العلاقات الاجتماعية، على خلاف ما إذا كان وفق ضوابط تجعله عامل بناء وصيانة لتلك الشبكة من العلاقات بل ومساهما في :

- ✓ تعزيز الولاء والبراء اللذان يعتبران بمثابة اللآحم للعلائق والأواصر وعليهما الحب والبغض.
- ✓ إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القائمين على الممايزة بين الحق والباطل .
- ✓ إنزال الناس منازلهم، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات مساعدة على بناء وصيانة العلائق الاجتماعية
- ✓ الحفاظ على نقاوة الاسلام: فتصنيف الناس بحق وبصيرة حراسة لدين الله سبحانه وتعالى."[1]

وعلى هذا الاعتبار، ولتلك المعاني السالفة اهتم العلماء بالتصنيف حيث أُلِّفَتْ كتب في موضوع التَّصْنيف منها:

- المقالات في أصول الديانات للمسعودي
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين للبغدادي
- والملل والنحل للشهرستاني .....إلخ

و حاصل الأمر: أنّ التصنِيف مشروع متى كان " بحق"وله شواهد من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا مجال لإنكاره بعد وقوعه منهم قولا وعملا.

أما الثاني وهو: التصنيف غير منضبط، وقد نهت عنه الشريعة الإسلامية ونبذته:

فهوغير القائم على إحقاق الحق وإبطال الباطل، فهو مظِنَة الهوى، وسوء الظن، والاجتهاد المنصرف عن قواعده، لذا نُهينا عنه ديانة وصيانةً للعلائق الاجتماعية في الأمة، ولقد تَجلى ذلك النهي في الآتي:

أ – النهي عن التقول في المؤمنين بغير حق:

ومنه قوله ﷺ: " مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ | رَدْغَةَ | [2] الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ[3]ففيه إبطالُ التصنيف بغير حق من وجهين أيضا :

- الأول: النهي عن الخصومة في الباطل: فالتصنيف غير المنضبط خصومة بالباطل تورث العداوة والشحناء.
- الثاني: النهي عن التقول في مُعيّن من المسلمين بغير حق: فالتصنيف غير المنضبط تقوّلٌ وافتراء بغير حق. وحيث يقول الإمام الصنعاني:"..بما يسوءه ويشونه ويحط من شأنه"[4]. كما وفي الحديث رد للشائعة ومروجيها وتحذير لهم من عواقب الولوج في

---

[1]– مجموع المحاضرات فيما يخص الدعوة والدعاة ضمن مجموع مؤلفات وتحقيقات الشيخ عبد السلام برجس ج 3 ص 13 بتصرف بسيط

[2]– ردغة الخبال:عصارة أهل النار وصديدهم،وأصل الردغ: الماء والطين والخبال: الفساد،أنظرتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ج 2ص526

[3]– سنن أبي داود | أَوَّلُ كِتَابِ الْأَقْضِيَةِ | بَابٌ : فِيمَنْ يُعِينُ عَلَى خُصُومَةٍ برقم:1835 سنن بن ماجه(2320) مسند أحمد(5385,5544)

[4]– التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير ، الصنعاني، تح: محَمَّد صُبْحي ،د: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية ، ط: الأولى، 1433 هـ – 2012 م ج3ص616

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعراض المسلمين . ومن هنا نتلمس الأثر السيء للتصنيف بغير حق على العلائق الاجتماعية. فالخصومة بالباطل والتقول على الأخرين بغير حق وإطلاقة الإشاعة، كلها كفيلة بهدم وقطع الروابط الاجتماعية لبنة لبنة بين أفرادها.

ب – النهي عن التنابز بالألقاب:

وهو الصريح في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾الحجرات: 11 . قَالَ قَتَادَةُ: "هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ يَا فَاسِقُ يَا مُنَافِقُ"[1] . وهذا من التصنيف بغير حق لما فيه من قطع العلائق الاجتماعية بما يترتب عنه من بغضاء وشحناء، وعداوة وتدابر، وطعن. فالآية مفادها:"لا تطعنوا في إخوانكم في الدين."[2] أي: بالتنابز بينكم بالألقاب الذي يشمله التصنيف بغير حق.

ج – النهي عن إطلاق بعض أوصاف التصنيف المباشر:

ذلك حيث نهى النبي ﷺعن تكفير المسلم بقوله:" مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ كَافِرٌ. فَقَدْ | بَاءَ | [3] بِهَا أَحَدُهُمَا"[4] . يقول المازري:أي باء"بمعصية الكذب في حق القائل إن كذب"[5]. وفيه الابتعادُ –ضرورةً – عن إطلاق أوصاف التصنيف بغير حق كالوصف بالكفر أيضا، إذْ ذهب الفقهاء لذلك المعنى في فهمهم لنص الحديث النبوي هذا . قال ابن دقيق العيد:"وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدًا من المسلمين وليس هو كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنَّة، وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم. وحكموا بكفرهم، والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنه حينئذ يكون مكذبًا للشرع"[6]. الأحكام شرح عمدة الأحكام 209/1

د– الوقوف في وجه المُصنّف ورد تصنيفه إذا كان بغير حق:

وذلك لعديد المواقف الشريفة للنبي ﷺالتي وقفهااتجاه مجموعة المصنّفين بغير حق، وردّه عليهم، ومن ذلك على سبيل الذكر لا الحصر:

– سماعه ﷺ لقوم مجتمعين قد صنفوا مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ:حينقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ–أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ –؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: | ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ | ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ. قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" [7].و الذي يستفاد من الحديث فوائد منها:

---

[1]– الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، تح: أحمد البردوني ، د: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، 1384هـ – 1964مج16 ص328

[2]– أوضح التفاسير ،محمد عبد اللطيف ،د: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: السادسة، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م ج1 ص635

[3]– أصل البَوْء اللزوم، وقال ﷺفي دعائه: " أبوء بنعمتك عليَّ ": أي أُقِرُّ بها وألزمه نفسي.أنظر إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ج 1ص317

[4]– موطأ مالك | كِتَابٌ : الْجَامِعُ | مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ الجزء رقم :2، الصفحة رقم:2814579صحيح البخاري(6104)مسلم(60)

[5]– المعْلم بفوائد مسلم، المازري ، تح :محمد الشاذلي النيفر ،د: الدار التونسية للنشر المؤسّسة الوطن، ط: الثانية، 1988 م،ج1 ص 296

[6]– تطريز رياض الصالحين فيصل بن عبد العزيز،د: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض– ط : الأولى، 1423 هـ – 2002 م ج1 ص975

[7]– أخرجه البخاري عن عتبان بن مالك في الصحيح:كِتَابٌ : الصَّلَاةُ بَابُ الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ ،برقم 425

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ✓ أنَّ الظنَّ سببٌ دَافِعٌ للتصنيف بغير حق.[1]
- ✓ مواجهة المصنف في الوقت والمكان نفسه بالعلم، وعدم تركه، منعا لإمرار حكم ظنيّ بالباطل

ودرءًا لاستقراره في النفوس على أنه حق،إذْ قال ﷺ:"لَا تَقُلْ ذَلِكَ"لا تقل فيه (ذلك) القول يعني قوله "منافق لا يحب الله ورسوله".

- دفاعه ﷺعن حاطب بن أبي بلتعة:

وذلك حينما قَالَ عُمَرُ بن الخطا ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ:"إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[2]، وفيه من الفوائد:

1 - عدم الإقرار بذاك التصنيف ورده.

2 - الظّن الحسن مقدم على الظّن السّيّء وإن كان محتملا، يقول الإمام الخطابي:"ألا ترى أن الأمر لما احتمل وأمكن أن يكون كما قال حاطب، وأمكن أن يكون كما قاله عمه ﷺاستعمل رسول الله ﷺحسن الظّن في أمره، وقبل ما ادعاه في قوله."[3]- وهذا من الأساليب الناجعة في وأد فتنة التصنيف بغير حق.

3 - وفيه تنبيه على: أنَّ التصنيف بغير حق قد يكون سببه الاجتهاد والغيرة والانتصار فلا يأثم صاحبه ولا يعاقب، مع وجوب رده وبيان علته، صيانة للروابط الأخوة. يقول الإمام الخط ﷺ " فيه دليل على أنَّ من كفر مسلماً أو نفَّقه على سبيل التأويل وكان من أهل الاجتهاد لم تلزمه عقوبة. ألا ترى أنَّ عمر رضي الله عنه قال دعني أضرب عنق هذا المنافق وهو مؤمن قد صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من ذلك ثم لم يعنف عمر فيما قاله. وذلك أنَّ عمر لم يكن منه عدوان في هذا القول على ظاهر حكم الدين إذ كان المنافق هو الذي يظهر نصرة الدين في الظاهر ويبطن نصرة الكفار وكان هذا الصنيع من حاطب شبيهاً بأفعال المنافقين إلا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنَّ الله تعالى قد غفر له ما كان منه من ذلك الصنيع وعفا عنه فزال عنه اسم النفاق"[4].

بل وذهب الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أبعد من ذلك فقال: "وفيها [قصة حاطب رضي الله عنه]: أنَّ الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنَّه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به،بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنَّهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدّعوه" [5].

---

[1]- تنبيه : وإنَّما كرهت الصحابة من ابن الدُّخْشُنِ مجالسةالمنافقين ومودتهم،وقد انتفت المظنة ولله المنةُ بشهادةِ مَنْ لا ينطِق عن الهوىﷺحين أنهقال: "لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله".أنظر مصابيح الجامع ، ج 2ص13.0

[2]- صحيح البخاري | كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ الْجَاسُوسِ. برقم 3007

[3]- معالم السنن، الخطابي ،المطبعة العلمية – حلب ،ط الأولى 1351 هـ - 1932 م ، ج 2ص274

[4]- نفس المصدر، ج 2ص275

[5]-زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، د: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ط: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م ج3 ص272

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- العلماء و ظاهرة التصنيف:

ولقد عظمت شكاية العلماء الربانين من ظاهرة التصنيف بل كان بعضهم ضحية لها فهذا الإمام الشاطبي يحدثنا عن حاله مع المصنفين فيقول: "وَرُبَّمَا أَلَمُّوا فِي تَقْبِيحِ مَا وَجَّهْتُ إِلَيْهِ وِجْهَتِي بِمَا تَشْمَئِزُّ مِنْهُ الْقُلُوبُ،أَوْ خَرَّجُوا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْفِرَقِ الْخَارِجَةِ عَنِ السُّنَّةِ ."[1]فنسب الرفض وإلى الخوارج وأشياء أخر،وكل ما نسبوه إليه واقع بين الكذب والوهم"2 . ففي قول الإمام الشاطبي إشارة إلى سبب من أسباب التصنيف بغير حق وهو الهوى أو الوهم، و إلى مسلك من مسالك التصنيف والتشنيع بالقبيح وغيره.

وبمثله عن ابن بطة حيث حكى حالا مشابهة لحال الإمام الشاطبي إذْ يقول:" فَإِنِّي وَجَدْتُ بِمَكَّةَ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَمَاكِنِ أَكْثَرَ مَنْ لَقِيتُ بِهَا مُوَافِقًا أَوْ مُخَالِفًا، دَعَانِي إِلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى مَا يَقُولُهُ، وَتَصْدِيقِ قَوْلِهِ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ، فَإِنْ كُنْتُ صَدَّقْتُ فِيمَا يَقُولُ وَأَجَزْتُ لَهُ ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ؛ سَمَّانِي مُوَافِقًا، وَإِنْ وَقَفْتُ فِي حَرْفٍ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْ فِعْلِهِ سَمَّانِي مُخَالِفًا"[3]. وقد نسبوا إليّ الخروج والإرجاء والقدر والرفض وغير هاته الأوصاف."[4]

ومع هذا يرشدنا إلى مسلك النجاة من التصنيف والذي لخّصة في :التمسك بالكتاب والسنة وعدم المبالاة به فيقول أيضا: "وَمَهْمَا وَافَقْتُ بَعْضَهُمْ؛ عَادَانِي غَيْرُهُ، وَإِنْ دَاهَنْتُ جَمَاعَتَهُمْ، أَسْخَطْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَنْ يُغْنُوا عَنِّي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. وَإِنِّي مُسْتَمْسِكٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.[5]

وإنّ تاريخ الأمة وتراثها لحافل بأعلام كانوا ضحية ظاهرة التصنيف بغير حق كالإمام البخاريفلقد رمي في دينه وأنه يقول بخلق القرآن وكان الدافع في ذلك الغيرة والحسد من أقرانه ومناوئيه. ثم الإمام ابن حبان حين رمي بالزندقة لقوله: (النبوة العلم والعمل)، فقالوا فيه: إنه يقول بأن النبوة مُكتسبة. كما رُميَ الإمام بن جرير الطبري (بالرفض والتشيع)... وغيرهم كثير.

وإن كان النوع الأول من التصنيف وفق ضوابط محددة فهذا النوع من التصنيف (غير المنضبط) فلم يراعي فيه أصحابه الضوابط الشرعية ولا الأخلاقية، فلا شروط توفرت ولا موانع انتفت ولا مناط تحقق، سوى السبب القائم على:

- سوء ظن أو هوىً طُبع عليه صاحبه في الغالب .
- الحسد والبغض والحقد أو الجهل بالدين وحملته .
- الوهم بدافع من الاجتهاد غير الموفق.

أما عن أسباب فشوه – وقد تعددت وتنوعت وتشعبت — فنرى واقعها كالآتي:

---

[1]- الاعتصام، الشاطبي،تح: سليم بن عيد الهلالي،د: دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى، 1412هـ - 1992م ج 1ص37

[2]- المصدر نفسه ،ج 1ص37 بتصرف

[3]- المصدر نفسه ،ج 1ص37

[4]- المصدر نفسه ،ج 1ص37

[5]- المصدر نفسه ،ج 1ص37

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- أسباب فشو ظاهرة التصنيف غير المنضبط:

للتصنيف غير منضبط أسباب فُشوّ وأسباب وجود متعددة، من أهمها:إخراج المسائل الشرعية عن إطارها العلمي الذي وضعت له كمسألتيْ: التفسيق والتبديع (علم العقيدة) و التجريح و التعديل (علم النقد).

فإخراج المسائل الشرعية عن إطارها العلمي الذي وضعت له قد نتج عنه التهاجر، والتدابر، والقطيعة، وتأثّر العلاقات الاجتماعية به، وكانت من أهم تلك المسائل التي أُخرجت عن أطرها العلمية الخاصة مسألة التفسيق والتبديع (علم العقيدة) و مسألة التجريح و التعديل (علم النقد).

فكلا المسألتين مرتبطتان ببعضهما، فالتفسيق والتكفير تجريح، بل هما من أخطر المسائل التي يمكن أن يجهلها المسلم. وتفصيل ذلك كما يأتي:

المسألة الأولى: التبديع، و التفسيق ، والتكفير:

لا جرم أنّ المتعلق بعلم العقيدة وبأخطر مسائلها هو إرسال" الأسماء والألقاب" تصنيفا وتقسيما. ولقد مرّ معنا قولهﷺ:" مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: كَافِرٌ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"[1]. وهو بيان تحذير ودعوة منه ﷺ للمسلمين إلى الابتعاد عن إطلاق ذاك الوصف الموجب للفسق أوما في حكمه المفضي إلى المحظور كسفك الدماء بغير حق، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"[2]. والمراد به النهى عن كفر حق المسلم الذى أمر به النبي ﷺمن التناصر والتعاضد"[3].

ولكي لا تخرج هاته المسألة عن إطارها العلمي لابد من التنبيه على أمور منها: أنّ التفسيق والتبديع والتكفير ليس لأحاد الناس. فهي عملية شرعية اجتهادية قد يعتريها الخطأ والصواب فلابد من توفر شرط الأهلية في القائم بها. مع انتفاء الموانع، وتحقق المناط كما أسلفنا.

المسألة الثانية: التجريح و التعديل[4]:وهو ذلك العلم الاجتهادي الخاص بقسم الرُّواة ونقد المرويات الحديثية حيث أُخرجت مسائله عن الإطار العلمي الخاص بها تعسفا، فصار بذلك سببا في فشو الظاهرة المفرّقة للجماعة بينما كان الهدف والغاية منه عند السلف هو صيانة السنة من الدخيل من غير غيبة أو تراشق بالألقاب جزافا أو استعماله في غير مجاله ومحله الذي أُنشئ له و نشأ فيه. ولقد أفضى الغلوّ فيه اليوم إلى التدابر والتقاطع وهدم العلاقات بين الأفراد والجماعات المسلمة... و ما فتئ الاشتغال بالتصنيف غير المنضبط ينهك الأمة ويشغلها عن قضاياها الكبرى ذات الأولوية، و يلغي حق الاختلاف وحق النظر في الأدلة حتّى.

---

[1]- سبق تخريجه ،ص9

[2]- صحيح البخاري كِتَابٌ: الْإِيمَانُ، بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ.برقم116

[3]- شرح صحيح البخارى ،ابن بطال ،تح:ياسر بن إبراهيم ،دمكتبة الرشد – السعودية، الرياض ،ط 1423هـ – 2003م ج 10ص 18

[4]- هو: علم خاص بالرواية الحديثية ورواتها. "يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم، بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ، ويقوم هذا العلم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقهم ونشأتهم وعقائدهم". أنظر على الترتيب: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج 1 ص582 بحوث في تاريخ السنة المشرفة ،أكرم بن ضياء العمري د: بساط – بيروت ط: الرابعة ص115

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكل ذلك سوف ينعكس بالضرورة على نسيج العلاقات الاجتماعية بالسّلب، بحيث ينتقل الصراع بين النخب إلى العامة حتمياً.

يقول الشيخ الدكتور بكر أبوزيد في كتابه:"تصنيف الناس بين الظن واليقين": موجها لومه للمشتغلين بالتصنيف:"فترى وتسمع رمي ذاك أو هذا بأنه خارجي، معتزلي، أشعري، طرقي، تبليغي، مقلد متعصب، متطرف، متزمت، رجعي، أصولي،.. وفي السلوك، مداهن،من علماء السلطان، من علماء الغسل والوضوء،ومن طرف لاديني : علماني،شيوعي،اشتراكي،قومي،عميل"[1].انتهى.

بل المسميات كثيرة وكثيرة حديثةٌ ومعاصرةٌ إلى درجة أن أصبحت حدثا غير عاديٍ يمكن ملاحظته ورصده أي ظاهرة (phenomenon) من ظواهر في هذا العصر.. ، ولقد أشار الشيخ الدكتور بكر أبو زيدإلى أثر خروج هاته الظاهرة عن أطرها العلمية بقوله:"اختراق (ظاهرة التجريح) لأعراضهم – أي العلماء وطلبة العلم– بالوقيعة فيهم، وفرْيِ الجراحين في أعراضهم، وفي دعوتهم، ولِمَا صنعه (سعاة الفتنة) من وقائع الافتراء، وإلصاق التهم، وألوان الأذى، ورمي الفتيل هنا وهناك، مما لا يخفى في كل مكان وصلته أصواتهم البغيضة. ولعظم الجناية على العلماء صار من المعقود في أصول الاعتقاد: (ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل)"[2].[3]

ولا يَعدوُ الإنصاف إلاّ أن يكون وازعاً أخلاقياً ودينياً قبل القيام بالعملية التقييمية للأشخاص أو الهيئات والتنظيمات، بل من أهم أسباب فشو التصنيف غير المنضبط في ذات الوقت عندما لا يكون الفرد المتصدر لعملية التقييم من أهل العلم ولا يملك آلة الاجتهاد أويفتقر أهليةًشرعيةًلذاك التصدُّر، فضلا عن: غياب عنصر الورع المؤثّر هو الآخر في نفسية ذلك المتصدر – فاقد الأهلية – بحيث لا يمكن استشعار خطورة التصنيف بغير حق، خاصة إذا امتزج التعصب والهوى للنحلة أو المذهب أو الحزب.. ونحو ذلك بصاحبه، مُغفلا أنّ الإنصاف مبدءٌ قرآنيٌّ حرِص على إعطاء كل ذِي حق حقه ولو كان أبغض بغيض: قال ربناّ وجلّ :﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾**سورة المطففين الآية 1**، ففي الآية تحذير ووعيد لمن لا يوُفُّون الناس حقوقهم ولا ينصفونهم سواء أكان حقهم معنويا أم ماديا. بل قال تعالى "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[4]**سورة المائدة الآية 8.**

ويقول الإمام ابن الـ رَحِمَهُ اللَّهُ:" فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتُخطيء على أن لا يعدل فيهم، بل يُجَرِّد لهم العداوة وأنواع الأذى، ولعله لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علماً وعملاً ودعوة إلى الله على بصيرة، وصبراً من قومهم على الأذى في الله، وإقامة لحجة لله ومعذرة لمن خالفهم بالجهل. " [5]

---

[1]– تصنيف الناس بين الظن واليقينبكر بن عبد الله أبو زيد ،د: مكتبة التوعية الإسلامية ،ط: الثانية 1415هـ ص10

[2]– هذه العبارة هي من كلام الطحاوي :أنظر العقيدة الطحاوية . ص82

[3]– تصنيف الناس بين الظن واليقينبكر بن عبد الله أبو زيد ، ص 5 – 6

[4]– وهذه الآيات نظائر كثيرة منها :چ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چآل عمران:113چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چآل عمران:75فيبين ربنا أن أهل الكتاب فيهم أهل أمانة، وفيهم أهل خيانة، وهذا كله من الإنصاف لهم.

[5]– بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ،د: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ج2 ص165

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلقد كان الإنصاف من شمائله ﷺ حتى للعصاة ولم يخرجُهم عن دائرة الموالاة.فعندما رجمت الغامدية لم يرتض ﷺ سلوك أحد الصحابةبسبه إيّاها، وذلك عندما أقبل بحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا. فَقَالَ: " مَهْلاً يَا خَالِدُ! فَوَالذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ". ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ."[1] ويقول محمد بن آدم الإثيوبي رحمه الله :لا يُسبّ من أقيم عليه الحدّ، ولا يؤذى بقَذِع الكلام"[2] .

فهذا لعمري هو عين الإنصاف الذي أمر الدين به سلوكا ومسلكا وكان منهجا للعلماء الحقيقيين عند تقيمهم للأخرين، وإن سرد الأمثلة الصريحة الناصعةمن صنيع الأئمة رحمهم الله في هذا المجال قد لا يتسع لها المقام هنا وحسبنا بشاهدين منها ستفي بالغرض.

المثال الأول:

فهذه كلمة الإمام ابن القيم في الشيخ أبي إسماعيل الهروي (شيخ الإسلام حبيبنا، ولكنَّ الحق أحب إلينا منه) قد قالها في كتابه "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" معقبا واستدراكا على ما صدر من الشيخ الهروي ما احتاج إلى وتوضيح وانتقاد– من وجهة نظر ابن القيم –بعد أن نقل للشيخ ما رآه مخالفاً لقواعد العلم الصحيح، من مقولة:" الرجاء اضعف منازل المريدين"،لكنه قد حمله المحمل الحسن، بل أطلق عليه لقب شيخ الإسلام فقال معقبا على ما قاله: "شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم فمأخوذ من قوله ومتروك ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه [3].

فالعلامة ابن القيم قد اختلف هناك مع شيخ الإسلام الهروي، دون أن يمس بمكانته واحترامه، ولكنه أنصفه وبين فقط ما يراه هو حقا في تلك المسألة المطروحة .

المثال الثاني:

وهذه كلمات الإمام الذهبي في الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي حيث يقول فيه : "الغَزَّالِي إِمَامٌ كَبِيْر، وَمَا مِنْ شَرطِ العَالِمِ أَنَّهُ لاَ يُخطِئ."[4]

وبمثل ذلك الأدب الرفيع يقول في حديثه عن قتادة:" ثم إنَّ الكبير من أئمَّة العلم إذا كثُر صوابُه، وعُلِمَ تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع عِلْمُه، وظهر ذكاؤُه، وعُرِفَ صلاحُه وورعُه واتِّباعه، يُغْفَر له زلَلُه، ولا نُضلِّله ونطرحه وننسى محاسنه، نَعَمْ، ولا نقتدي به في بِدْعَته وخطئه، ونرجو له التَّوبة من ذلك"[5] .

---

[1]– صحيح مسلم | كِتَابٌ : الْحُدُودُ | بَابٌ : مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَالجزء رقم :5، الصفحة رقم:1201695 (23)

[2]– ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ، محمد بن آدم الإثيوبي الوَلَّوِي ، د: دار المعراج الدولية للنشر [جـ 1 – 5] – دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ 6 – 40] ،الطبعة: الأولى ج19 ص244

[3]– مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (فصل قال صاحب المنازل: الرجاء أضعف منازل المريدين ، ، تح : محمد المعتصم بالله ،د:دار الكتاب العربي بيروت ،ط: الثالثة، 1416 هـ . 1996م ج3 ص366

[4]– سير أعلام النبلاء ، الذهبي ،د: دار الحديث– القاهرة ،ط: 1427هـ–2006م ج14 ص275

[5]– نفس المصدر ج5ص271

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- أسباب وجود ظاهرة التصنيف غير المنضبط

أ- **التعالم في أوساط المتعلمين والدخلاء**[1]: والمراد بالتعالم: "إدَّعاء أو إظهار العِلْم والمعرفة"[2]. أو ما يعبر عنه في الاصطلاح الحديث بـ:"التصدر قبل | الأهلية |[3]"وقد وصفهم ابن حزم بالدخلاء فقال: "لا آفة على العلوم وأهلها، أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون"[4].

ومنه جاء زجرُ ونهي المسلم أن يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة"[5]، فعَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"[6]، فالتعالم إظهار للعلم والمعرفة قبل الأهلية و ظهور بخلاف الحقيقة، وصاحبه متشبع بما لم يعط فيدخل في الوعيد .

ولقد أكدت السنة النبوية مساوئ هاته الظاهرة المقيتة نبذها للتعالم المؤدي إلى الضلال والإضلال: فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً[7]، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا."[8]. والشاهد قوله ﷺ:"اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا[9]"[10]. ففيه تحذير من سلوك سبيل "التعالم" المؤدي للتقوّل على الله بغير حق. فإظهار المعرفة قبل الأهلية

أو"التعالم" لا نتيجة له سوى ضلال الشخص وإضلاله لغيره. بل قد يُذكي ذلك السلوكآثارا سلبية على الروابط والعلاقات الاجتماعية أيضا:

4 - إثارة الفتن في وسط الحياة الدعوية .[11]

5 - التحريش بين العلماء ورميهم بكل قبيح من اللفظ. وهذه هي قاعدة التصنيف .[12]

---

[1]- وقد أشار إلى معناه الشيخ بكر: بقوله : "من رام البروز قبل أن ينضج." أنظر كتاب التعالم وأثره على الفكر والكتاب ص5

[2]- معجم اللغة العربية المعاصر ،د أحمد مختار عبد الحميد ،د: عالم الكتب ،ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ج2ص 1541

[3]- الأهلية تقتضي التفقه قبل التصدر للعلم وفي هذا المعنى جاء الأثر عنعُمَر بن الخطاب س: "تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا"

[4]- التعالم وأثره على الفكر والتاب بكر بن عبد الله زيد ،دار بن حزم القاهرة ،ط2011ص5

[5]- اقتضاء الصراط المستقيم. ابن تيمية ت: ناصر عبد الكريم العقل.د: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.ط: السابعة، 1419هـ - 1999م ج 1ص482

[6]- صحيح البخاري | كِتَابُ النِّكَاحِ | بَابُ الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ وَمَا يُنْهَى مِنِ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ. الجزء رقم :7، الصفحة رقم:521935

[7]- وهذا المعنى يصدق عليه حديث أبي هريرة س، عن النبي ﷺ، قال : " تأتي على الناس سنوات جدعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيهم الرويبضة " قيل : يا رسول الله وما الرويبضة ؟ قال : " الرجل التافه يتكلم في أمر العامة: وفي رواية " من لا يؤبه له أخرجه الحاكم في المستدرك -كتاب الفتن والملاحم برقم:8510

[8]- صحيح مسلم | كِتَابٌ : الْعِلْمُ | بَابٌ : رَفْعُ الْعِلْمِ الجزء رقم :8، الصفحة رقم:60(13) 2673

[9]- "فضلوا" أنفسهم "وأضلوا" من أفتوه لإعلامهم له بما لا يحل له أنظرالتَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ج3ص359

[10]- سبق تخريجه نفس الصفحة

[11]- التعالم وأثره على الفكر والتاب بكر بن عبد الله زيد ،دار بن حزم القاهرة ،ط2011ص6 بتصرف

[12]- المرجع نفسه ،ص6 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6 – فسادا في النشاط الدعوي، فهم الصادّون عن سبيل الله بحق.[1]

وكل هاته التأثيرات كفيلة بزعزعة الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية : من تعارف، وتعاون، وتعايش.

ب –الاستغلال السياسي لظاهرة التصنيف:

تتميز الحياة السياسية بكثرة الصّراعات التي تهدد نظام الحكم القائم، ويعد الاستغلال السياسي لظاهرة التصنيف عبر العصور من بين أهم الأسباب في تجذر التصنيف غير المنضبط وانتشاره، ذلك بما يحققه من إضعاف الخصوم من ناحية، والمساعدة في القضاء عليهم من ناحية أخرى. وهنا يأتي الاستغلال السياسي الداخلي لظاهرة التصنيف كعامل تثبيط ووأد لأي حركة منافسة للنظم الحاكمة، وذلك من خلال:

- ✓ تصنيف الخصوم السياسيين تصنيفا عقديا ومنهجيا منفر.
- ✓ استغلال رجال الدين وحملهم على مواجهة الخصوم السياسيين بالاجتهاد في إصدار الفتاوى والتصنيف بالألقاب المنفرة.

وأما الاستغلال السياسي الخارجي: فحيث كان التصنيف . غير المنضبط . سببا من أسباب ذلك الاستغلال الخارجي عن طريق:

- ✓ الاستثمار في آثار ظاهرة التصنيف داخل المجتمع المسلم .
- ✓ إذكاء منهجية التصنيف للتفريقة بين أفراد الأمة الواحدة وهدم مجتمعاتهم ودينهم، وروابطهم الاجتماعية بحيث قد فتح التصنيف ثغرات قاتلة في نسيج الأمة استغلها الأعداء .

5– أثر التصنيف "غير منضبط" على العلائق الاجتماعية :

للتصنيف غير المنضبط آثار وخيمة على الروابط الاجتماعية داخل الجماعة المسلمة ، ولعل من أبرزها وأهمها الآتي :

- ✓ الفتن المؤدية إلى استحلال الدماء: وهذا من أخطر الآثار التي يؤسس لها التصنيف بغير حق. وقد أشارت

السنة النبوية إلى هذا الأثر وحذرت منه، وذلك أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺكانيُحَدِّثُ أصحابه" أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ، قِيلَ : وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : " الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ ". قَالُوا : أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ ؟ قَالَ:" إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ ". قَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ:" لَا، إِلَّا أَنَّهُ يُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ"[2]

والشاهد أن النبي ﷺ أخبر باستحلال المسلم لدم أخيه فقال يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، ...وهذا القتل لا يكون إلا بعد استحلال الدم من خلال عملية التصنيف. وانكار النبي ﷺ لهذا الواقع وربطه بالكذب فيه دليل على أن التصنيف الواقع بغير حق هو سبب ذلك، مع بيان أن الهرج الذي منشؤه التصنيف عامل في قطيعة الرحم التي هي من أهم العلائق الأسرية.

- ✓ ضلال العامة وبعدهم عن الدين: وفي هذا ضياع لكثير من الحقوق المتعلقة بالخلق مما يضعف الروابط الاجتماعية، وقد مر بنا أنّ التعالم أحد أسباب فشو ظاهرة التصنيف والذي يؤدي إلى ضلال وإضلال الناس فلقد قَالَﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ

[1]– المرجع نفسه، ص6 بتصرف

[2]– مسند أحمد | أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ. | حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ. 19636 واللفظ له والبخاري(7062) ومسلم(2672) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يبْق عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا."[1].

ويساعد هذا الضلال والإضلال في حجب أنوار الهداية وانعكاس الحقائق وانقلاب الموازين. يقول الإمام الشَّعْبِيُّ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَصِيرَ الْعِلْمُ جَهْلًا، وَالْجَهْلُ عِلْمًا. وَهَذَا كُلُّهُ مِنِ انْقِلَابِ الْحَقَائِقِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَانْعِكَاسِ الْأُمُورِ"[2]. وهذا الواقع عامل من عوامل البعد عن الدين وإضعاف الوازع الديني الذي يساعد على تفكك الروابط الاجتماعية .

- ✓ إضعاف عقيدة الولاء والبراء: التي تجمع بين المسلمين وعليها تبنى معاني التناصر والتآلف والتآخي
- ✓ إضعاف شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وذلك لاشتباه الحق والباطل وعدم معرفة منازل الناس، وهو ما عبر عنه ﷺبالسنوات الخداعات[3] .

6- طرق العلاج:

قد تبين لنا مما سبق أنّ التصنيف العقدي والمنهجي . غير المنضبط حالة خطيرة لها أسبابها ودوافعها وتعود بالسلب على الروابط الاجتماعية، وهاته الظاهرة تدفعنا للبحث عن الوسائل الناجعة والعوامل المعينة بعد الله على وأد هاته الظاهرة الفتانة، ولعل من أهم الوسائل في تحقق ذلك الآتي :

- **تصحيح النية والمقصد من وراء طلب العلم:** ولقد أبانت السنة النبوية المقصد العام من وراء طلب العلم، و المتمثل في ابتغاء مرضاة الله وتحيق النجاة، وذلك من خلال النهي عما يضاده من مقاصد: فعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ"[4] وهذا العلاج يجعل طالب العلم:

- ✓ يحسن الظن بغيره ممن خالفوه في العلم وستر زلاتهم
- ✓ ضبط تزكية طلاب العلم وعدم التساهل والشدة في ذلك لمنع إغراق الساحة العلمية بغير المؤهلين قطعا لطريق الضلالة أمام ظاهرة التعا لم والمتعالمين ..
- ✓ الورع في التصدر والبروز قبل تحقق الأهلية .
- ✓ التثبت من الاخبار: خاصة تلك التي تبنى عليها المواقف من الآخرين أو تتخذ سلما ومطية للتصنيف غير المنضبط، مع استشعار خطورة تناقل الأخبار دون النظر في رواتها قَالَ رَسُولُاللَّهِﷺ:" كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ."[5].ويعد منهج المحدثين أنجع المناهج يُمكن الاعتماد عليها في معرفة صحيح الخبر من سقيمه .

---

[1]- سبق تخريجه الصفحة 12

[2]- جامع العلوم والحكم ،بن رجب الحنبلي ،تح: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس ،د: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م ج1 ص140

[3]- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ" قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ"أخرجه بن ماجة4036

[4]- سنن ابن ماجه | الْمُقَدِّمَةُ | بَابٌ : الِانْتِفَاعُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ. برقم:2532

[5]- صحيح مسلم | الْمُقَدِّمَةُ | : بَابٌ : النَّهْيُ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ برقم:8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

✓ حسن الظن بالمصنِّف: من الأساليب الناجعة أيضا والتي يمكن توضيفها لعلاج ظاهرة التصنيف بغير حق إحسان الظن بالأخرين، وحمل اجتهادتهم على أحسن المحامل، والبعد عن الظن السيء الذي يحمل صاحبه على: التحسس، والتجسس، والتحاسد، والتدابر، أو التباغض الذي هو من جنس الكذب الذي نهى عنه النبي ﷺ في قوله :" إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا "[1] . فالظن الحسن يحمل صاحبه على الآتي :

✓ اعتبار ماضي المصنف وعدم اهداره: من ذلك اعتذار النبي ﷺ لحاط رضي الله عنه بأنه شهد بدرا في قوله ﷺ لعُمَر: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[2]

✓ اعتبار ما مع المسلم من إيمان ومحبة لله ورسوله: و يشهد لذلك قصةحِمَار الذيَ كَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺوَكَانَ النَّبِيُّ ﷺقَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"لَا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"[3]. قال الهروي :"فمَحَبَّةَ اللَّهِ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ مُوجِبَتَانِ لِلزُّلْفَى مِنَ اللَّهِ وَالْقُرْبَى مِنْهُ فَلَا يَجُوزُ لَعْنُهُ ؛ لِأَنَّهُ طُرِدَ مِنْ رَحْمَتِهِ"[4].

✓ السماع لاعتذارات المصَنفين والرجوع لأهل العلم : وهذا عامل مهم يقرب وجهات النظر ويؤسس لقاعدة صلح وتفاهم ذلك أنّ النبي ﷺ أعطى الفرصة لحاط رضي الله عنه ليدافع عن نفسه وذلك في قوله ﷺ" يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا ؟ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ."[5]

وقد فصل النبيﷺ في المسألة، واعتذاره حاطب بالأسبقية في نصرة الدين فيه دليل على أن الرجوع إلى أهل العلم المقتفيين لأثر الرسول عامل مهم في علاج ظاهرة التصنيف.

✓ **وقوف العلماء في وجه المصنفين وزجرهم**: ومجابهة أولئك المصنفين بغير حق بحزم وعزم وعلم ورد تصنيفاتهم الباطلة، وقد مر بنا رده ﷺ لتصنيف عـ رضي الله عنه المبني على الاجتهاد بقوله: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى

---

[1]- صحيح البخاري | كِتَابٌ : الْأَدَبُ | بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ. برقم:6064

[2]- صحيح البخاري | كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ الْجَاسُوسِ. برقم3007

[3]- صحيح البخاري | كِتَابُ الْحُدُودِ | بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الْخَمْرِ برقم:1586

[4]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. الهروي.ج6ص 2377 وقال الشيخ للألباني كلاما قيما في هذا المقام، قال: "لا تحقد على أخيك المسلم لمجرد أنه لا أقول: أخطأ، بل لمجرد أنه انحرف، لكن انحرف في مسألة أو اثنتين أو ثلاث، والمسائل الأخرى ما انحرف فيها، ونحن نجد في أئمة الحديث من يتقبلون حديثه، ويقولون عنه في ترجمته أنه مرجئ، وأنه خارجي، وأنه ناصبي... إلخ، فهذه كلها عيوب وكلها ضلالات، لكن عندهم =ميزان يتمسكون به، ولا يرجحون كفة سيئة على الحسنات أو سيئتين أو ثلاث على جملة حسنات، ومن أعظمها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله." دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية محمد ناصر الدين الألباني ،رقم الدرس – 46 درسا http://www.islamweb.net

[5]- صحيح البخاري | كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ الْجَاسُوسِ. برقم:3007

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ."[1] ، ثم لرده ﷺلتصنيف الرجل لابن الدُخيشن بقوله:" لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ."[2].

بل وكذا صحابته ﷺ قد فعلوا ومن ذلك فعل مع ﷺ حينما سألﷺ عن كعب فقال " مَا فَعَلَ كَعْبٌ ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا"[3]، فماك ان من الرجل إلا أن سكت .

✓ الابتعاد عن التصنيف بغير حق واعتزاله: وقد مر بنا الحديث عن آثار التصنيف وأنه سبب للوقوع في الفتن وفي ال كذب والقتل..... وفي الحديث أنّ النبيﷺ أبان لهم الطريق والمخرج من هاته الفتن في قول الراوي " وَمَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَاهَا، لَمْ نُحْدِثْ فِيهَا شَيْئًا"[4].

فالبعد وعدم الخوض في الأسباب المؤدية للفتن والتي منها التصنيف بغير حق عامل مهم في التقليل من هاته الظاهرة واحتوائها .

وصفوة القول:

أنّ في السنة النبوية العديد من التوجيهات المنهجية التي متى حاول المسلم أن يطبع عليها نفسه كانت عاملا مهما في علاج ووأد فتنة التصنيف العقدي والمنهجي غير المنضبط. وأنّ التصنيف نوعان :

أ- تصنيف بحق: وهو المشروع بنصوص الكتاب والسنة، وضرورة شرعية، وأساسٌ في المفاصلة بين حق وباطل.

ب – تصنيف بغير حق "غير المنضبط" وهو غير مشروع وقد نهت عنه نصوص القرآن والسنة النبوية.

✓ أنّ التصنيف يكون منضبطًا متى روعيت فيه ضوابطه، وتوفرت شروطه وانتفت موانعه وتحقق المناط فيه. فإذا لم تراعى هاته الأمور كان غير منضبطٍ .

✓ أنّ السنة النبوية قد حذّرت من التصنيف . غير المنضبط . وبينت خطورته على العلائق الاجتماعية

✓ أنّ التصنيف عن غير حق ظاهرة مهددة لكيان الأمة، مصادمة للبعد الروحي والحضاري فيها.

✓ في السنة النبوية إشارات واضحة دلت على أسباب التصنيف غير المنضبط وهي كثيرة.. غير أنّ إغفال المنهج النبوي في مواجهة هاته الظاهرة كان له أثر في فشوّها. وقد شملها البحث في:

1- الاجتهادات الخاطئة

2- سوء الظن

3- هوىً متبع.

---

[1]- صحيح البخاري | كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ الْجَاسُوسِ. برقم:3007

[2]- صحيح البخاري | كِتَابٌ : الصَّلَاةُ | بَابُ الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ. برقم:924

[3]- صحيح مسلم | كِتَابٌ : التَّوْبَةُ | بَابٌ : حَدِيثُ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ برقم: 2769

[4]مسند أحمد | أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ. | حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ. برقم رقم 19636 واللفظ له والبخاري برقم (7064,70)ومسلم(2672)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ✓ شمولية السنة النبوية في معالجة هاته الظاهرة حيث أنها لم تكتفي بمجرد التحليل أو ببيان الأسباب بل سعت لبيان طرق العلاج .
- ✓ ظاهرة التصنيف ظاهرة قديمة متجددة –حيث كان ضحيتها كبار علماء الأمة في العصور الغابرة– غير أنها في هذا الزمان أشد خطرا لتنوع الوسائل الحديثة المذكية لها وكثرتها .

قائمة المصادر و المراجع

1. القرآن الكريم
2. إبراهيم اللخمي، الاعتصام، تح: سليم بن عيد الهلالي، د:دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى، 1412هـ - 1992م
3. ابن بطال ،شرح صحيح البخاري، تح:ي اسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد– السعودية، الرياض،ط 1423هـ - 2003م
4. ابن حجر ،فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت، 1379، تع: عبد العزيز بن باز
5. ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، تح: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، د: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م ج1 ص140
6. ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح :عمرو بن غرامة، د: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د: 1415 هـ. 1995 م
7. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد ، د: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
8. ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد،د: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ط: السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م
9. ابن قيم، مدارج السالكين، تح : محمد المعتصم بالله، د:دار الكتاب العربي– بيروت ،ط: الثالثة، 1416 هـ. 1996م
10. ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط – وأخرون، دار الرسالة العالمية ،ط،: الأولى، 1430 هـ 2009 م
11. أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى 1411هـ – 1990 م
12. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م بدون طبعة
13. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
14. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، د: دار الفكر، ط: 1399هـ، 1979م
15. إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم. ت:سامي بن محمد سلامة. د: دار طيبة للنشر والتوزيع.ط: الثانية 1420هـ - 1999 م
16. أكرم بن ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، د: بساط – بيروت ط: الرابعة
17. أكرم بن ضياء العمري، تاريخ السنة المشرفة، د: بساط – بيروت ط: الرابعة
18. بدر الدين الدماميني، مصابيح الجامع، تح: نور الدين طالب د: دار النوادر، سوريا ط: الأولى، 1430 هـ- 2009م
19. بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. د: دار إحياء التراث العربي – بيروت
20. بكر بن عبد الله أبو زيد، تصنيف الناس بين الظن واليقين، د: مكتبة التوعية الإسلامية ،ط: الثانية 1415هـ
21. بكر بن عبد الله زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار بن حزم القاهرة، ط2011م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

22.تقي الدين ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم. ت: ناصر عبد الكريم العقل.د: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.ط: السابعة، 1419هـ - 1999م . ج 1ص482
23.الخطابي، معالم السنن، د: المطبعة العلمية – حلب ط : الأولى 1351 هـ - 1932 م
24.الذهبي، سير أعلام النبلاء، د: دار الحديث- القاهرة ،ط: 1427هـ-2006م
25.الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، د: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، 1413 هـ - 1993 م
26.الذهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، تح: أبو غُدّة، د: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط: الثانية، 1412 هـ
27.الزَّبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين ،د: دار الهداية
28.سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ت : شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية ،ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م
29.الصنعاني، التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير ، تح: محَمَّد صُبْحي ،د: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبيَّة السعودية ، ط: الأولى، 1433 هـ - 2012 م ط: الثانية، 1414 هـ
30.الطحاوي ،العقيدة الطحاوية، ش وتع: محمد ناصر الدين الألباني ،د: المكتب الإسلامي - بيروت
31.عبد الرحمان السعدي، إسماعيل بن كثير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .السعديات : اللويحق.د: مؤسسة الرسالة. ط: الأولى 1420هـ -2000 م
32.عبد السلام برجس مجموع المحاضرات فيما يخص الدعوة والدعاة ضمن مجموع مؤلفات وتحقيقات
33.عبد الله بن عمر البيضاوي ،تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ،تح: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب ،د: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ،ط: 1433 هـ - 2012م
34.عياض بن موسى السبتي ، إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ، تح: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل ، د: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ،ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م
35.فيصل بن عبد العزيز ،تطريز رياض الصالحين ،تح : د. عبد العزيز بن عبد الله د: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض – ط : الأولى، 1423 هـ - 2002 م
36.القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، د: دار الكتب المصرية - القاهرة ط: الثانية، 1384هـ- 1964 م
37.المازري ، المعْلم بفوائد مسلم، تح :محمد الشاذلي النيفر ،د: الدار التونسية للنشر المؤسّسة الوطن، ط: الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.
38.مالك بْنِ أَنَسٍ ،الْمُوَطَّأ ،دار الغرب الإسلامي – بيروت ،ت : الدكتور بشار معروف
39.محمد بن أبي بكر المخزومي القرشي، مصابح الجامع، تح: نور الدين طالب، د: دار النوادر، سوريا ط:الأولى،1430 هـ - 2009 م
40.محمد بن آدم الإثيوبي ،ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ،د: دار المعراج الدولية للنشر [جـ 1 - 5] - دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ 6 - 40] ،الطبعة: الأولى
41.محمد بن إسماعيل ،التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، تح: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم - د: مكتبة دار السلام، الرياض - ط: الأولى، 1432 هـ - 2011 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

42.محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، الأولى 1422هـ.
43.محمد بن عيسى الترمذي ، الجامع الكبير – سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ،ط: الطبعة الأولى 1996 م.
44.محمد عبد اللطيف ،أوضح التفاسير ،د: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: السادسة، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م
45.محمد ناصر الدين الألباني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،رقم الدرس-46 درسا http://www.islamweb.net
46.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الهروي – د: دار الفكر، بيروت لبنان ط: الأولى، 1422هـ،2002م
47.مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: مجموعة من المحققين، دار الجيل- بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول، ط: 1334هـ
48.مصطفى بن عبد الله ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، د: مكتبة المثنى - بغداد ،ط: 1941م
49.أحمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصر ، د: عالم الكتب ،ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
50.الهَرَري ،الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، د:دار المنهاج. دار طوق النجاة، ط: الأولى1430 هـ - 2009 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com